

الملتقى الدولي الافتراضي: أدب الطفل العربي (أشكاله مضامينه تحدياته)

الدكتورة: دايلي خيرة

جامعة مصطفى اسطمبولي _ معسكر -

kheira128@gmail.com البريد الالكتروني

المحور الثاني: وسائط أدب الطفل العربي.

عنوان المداخلة: دور الفن القصصي في ترقية الذوق الأدبي للطفل العربي

الملخص:

يعد أدب الأطفال في وقتنا الزاهر حيّزًا هامًا في الحقل التربوي والتعليمي على حدّ سواء، يسعى إلى تنمية السلوك اللّغوي السّوي للطفل، وإمّتاحه بوسائط أدبيّة شيّقة، من جهة أخرى أخذ قسطًا وفيرًا من الاهتمام لدى الجهات المعنيّة باعتباره وسيلة ييداغوجيّة مؤثّرة، وهذا ما نلمسه في المؤسسات الإعلاميّة التي تبحث باستمرار عن النصوص المشوّقة للطفل وطبعها في قالب جذاب، فكان الاهتمام الأوّل ظاهر بالقصّة باعتبارها المظهر الأدبي المحبّب للطفل يجد فيها أصداءً قريبةً من واقعه كونها أداة قابلة لتحليل أي موقف أو فكرة من خلال نماذجها الترويحية التي قد يكتشف بها الأطفال أنفسهم أو عالمهم الخارجي. **الكلمات المفتاحيّة:** الأدب- القصّة- الطفل العربي -اللغة العربيّة- الذوق الأدبي.

مقدّمة :

يسعى أدب الأطفال إلى السّمو بمشاعر الطفل وشحذ عواطفه والتخفيف من التقلبات النفسية التي يعيشها في حياته اليوميّة، وإحداث انفعالات إيجابيّة من شأنها إسعاده، والكشف عن ميوله وحاجاته النفسيّة وقد لجأ العديد من المربين والأبوين إلى اختيار "القصّة" لإبراز مواهب الطفل وطاقاته الأدبيّة باعتبارها الجنس الأدبيّ المحبّب للطفل والأقرب إلى نفسه تستحوذ على انتباهه، وتجعله يتابعها بشغفٍ وهي فرع غني من دوحة الأدب تحمل في طياتها غاية خُلقيّة تدفع المتلقي الصغير إلى التفكير والتركيز وإعمال قدراته العقليّة وفي نفس الوقت تتضمّن خيالًا واسعًا وألوانًا بيانيّة وبداعيّة ثريّة وأفكارًا نيرةً، فقصّة الأطفال " فن ثري شائق مروي أو مكتوب يقوم على سرد حادثةٍ من الحوادث مختلفة الموضوعات والأشكال، مستمدّة من الخيال أو من الواقع أو من كليهما معًا، لها شروطها الفنيّة المرتبطة بالخصائص النمائيّة للطفل، يشترط فيها الوضوح والسهولة والتشويق، وأن تحمل قيمًا

ضمنية تساهم في نشر الثقافة والمعرفة بين الأطفال ، كذلك في تنمية لغتهم وخيالهم وذوقهم ، فتجمع بين لغتي المعرفة والفن"¹ ، فهي غذاء لعقل الطفل وملكته اللسانية.

والجدير بالذكر في هذا المقام أنّ استخدام القصة في تربية الأطفال هو عادة غائرة منذ القدم لأنها تستهدف الجوانب الدينية والحلّقيّة والمعرفية وحتى الترفيهيّة ، ففي العصور الإسلاميّة استخدمت القصة في تربية الأطفال ثمّ القصص التي تروي مغامرات الأبطال والفرسان كأمثلة لتعليمهم شؤون دينهم وديانهم، وخلال عصر النهضة كانت هناك قصص تُمجّد الشهامة والعطف على الضعيف ومساعدة المحتاج ومناصرة الحق واحترام النساء ، أمّا في وقتنا المعاصر فإنّ القصة تستخدم كوسيلة تعليميّة تثقيفيّة ترفيهيّة والتي ترمي إلى إمتاع الطفل وتزويده بالمعرفة وتوسيع ثقافته وتهذيب سلوكه وتنمية اتجاهاته الأدبيّة والفنيّة"² ، وتبقى القصة أكثر صور الأدب ذيوعاً وانتشاراً في عصرنا لتوفرها على قدرات تؤهلها إلى خدمة مختلف أنشطة اللّغة العربيّة خاصّةً في المراحل التعليميّة الأولى ، كل ذلك يتم وفق نسق فني نشري قائم على التدرج في الأحداث والوقائع ضمن تسلسل زمني وإطار مكاني محدّد مع الاستعانة بشخصيات تقوم بأدوار أساسيّة أو ثانويّة وتصاغ بصورة لغويّة راقية تجمع بين السرد والحوار وحتى الوصف إن تطلّب المقام ذلك ، فتؤثر على الحصيلّة اللّغوية للمتلقّي الصغير خاصّةً إذا جمعت بين سلامة الأسلوب وجمال المضمون.

وتأسيساً لما تمّ تقديمه جاءت هذه الدراسة لتكون لبنةً فكريّةً ومعرفيّةً خصبةً تبرز القيمة التربويّة للقصة وفعاليتها على الطفل العربي خاصّةً على الجانب اللّغوي ، ولتحجيب على الإشكالية الجوهرية وهي:

– ما مدى فاعليّة القصة على الرصيد اللّغوي للطفل العربي؟ وكيف يمكن استثمارها استثماراً صحيحاً في هذا المجال؟

وللإجابة على هذه الإشكالية الدّسمة وجب الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي ، كونه الملائم لطبيعة الدراسة المطروحة والأنسب لأبعادها وأهدافها.

1- معايير اختيار قصة الطفل :

إنّ الكلمات المنثورة التي تعبّر عن حدث معيّن أو مجموعة من الحوادث في جو سردي حوار يغلّب عليه طابع المتعة والتشويق ، والتي تُوجّه للأطفال –مما شك – لها هدف نبيل وهو بناء شخصية سويّة متكاملة ، وتعزيز جملة من الصفات ، والقيم والمبادئ لذا وجب العناية الفائقة بانتقاء قصص تتواءم والقدرات العقلية والمعرفي واللّغوية

للمتلقي الصغير ولا يكون ذلك إلا وفق ضوابط مقننة والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية: - مسايرة القصة لمستوى نضج الطفل وعمره " لأن كل مرحلة من مراحل الطفولة لها قاموسها اللغوي الخاص بها والذي يشتمل بدوره على المفردات التي يستخدمها الصغار في هذه المرحلة أو تلك"³ ، شرط خلّوها من الأخطاء اللغوية والأسلوبية وابتعادها عن التعقيد والغموض.

- أن تستوفي العناصر الأساسية للقصة من مقدمة ومشكلة (عقدة) ونهاية (الحل)، وأن تحمل في ثناياها قيمًا تربوية تستهدف التربية الخلقية والدينية وتستثير خيال الطفل .

-مرافقة الأسرة للطفل بواسطة القصص المسموعة :

يتفاعل الطفل العربي كغيره من الأطفال داخل الأسرة والمحيط الاجتماعي الذي يحوم حوله ، وللأسرة أثر بالغ في انتقاء القصص التي من شأنها تطوير الحصيلة اللسانية لأبنائهم وذلك من خلال الحوار المتواصل ، لأن الطفل في فترات متعدّدة يكون بحاجة ماسّة إلى سماع قصة ويلتف متشوقًا حول أبويه أو أحد أفراد عائلته فهي كثير ما تحمل في طياتها خيالًا جاحًا فتتحدّث على سبيل المثال على الصراع القائم بين فريق الخير وفريق الشر أو الحق والباطل أو-ماشابه- ذلك ويكون النصر في النهاية حليف الخير ، فنستنتج بذلك أنّ " القصة ليست تواصل تنمي لغة الطفل فحسب ، بل وسيلة تربوية أيضًا"⁴.

-العناية الفائقة باختيار شخصيات تتناسب ومحتوى القصة ،مع الاهتمام الدقيق بالجانب الحسي والملموس والمرئي .

-التركيز على العنصر العلمي في بناء القصة كونه يشتمل على مجالات عديدة توجّه المتلقي الصغير توجّهًا صحيحًا حول اكتساب عادات إيجابية ومهارات لغوية ، مع استخدام المنهجية العلمية المنطقية في حل مشكلة القصة . - تحقيق التوازن والتساوي بين مراحل القصة وعدم استغلال مرحلة على حساب مرحلة أخرى ، كون هذا الأمر يؤثر تأثيرًا سلبيًا على العنصر النفسي للطفل ويجعله ينفر من قراءة القصة ولا يتشوق إلى إكمالها، وعملية التشويق ضرورة لازمة لأي عمل قصصي .

- مراعاة التدرج في سرد الأحداث والوقائع المروية ، وتجنب التكرار ، والتنوع في النبرات الصوتية الملائمة للشخصية المذكورة في القصة لأنها تعزز عنصر التشويق وتثري خياله.

- تحبيب الطفل إلى لغة الحوار وذلك من خلال التحوار القائم بين شخصيات القصة والذي يعد " عامل مهم في نجاحها وعنصر رئيسي في بنائها الفني ، وهو يساعد على تحقيق المشاركة الوجدانية بين القاص والمستمع ويساعد في الإحساس بالمتعة ، لذا وجب من الأفضل التخفيف من عنصر السرد وترك المجال الفسيح للحوار عند حكاية القصص للأطفال" ⁵ ، هذا الأمر يجعل الطفل بطريقة تلقائية يكتسب مهارة الاستماع وحسن الإنصات وتبادل الأفكار ووجهات النظر واحترام آراء الغير .

- تقديم قصة تستوفي انطباعاً إيجابياً وانفعالات سارة خاصة عندما يتعلّق الأمر بالنهاية لأنها البنية الفنية للقصة والتي تترسّخ بشكل كبير وسريع في ذهنية الطفل مباشرةً ، فمن المحبّب أن يسود في القصة المقدمة للطفل الصغير جو يسوده المرح والحب والشعور بالأمل والتفاؤل ، وترضي حاجاته السيكولوجية وغاياته اللغوية في آن واحد .

2- أبرز أنواع القصص الملائمة للطفل :

يوفر أدب الأطفال سياقاً سيكولوجياً وسوسولوجياً يوافق السمات الإبداعية وينميها من خلال استشارة المواهب وترقيتها عن طريق التفاعل والتمثيل ، وعند حديثنا عن القصة التي تعد من أحب ألوان الأدب لدى الأطفال وأقربها إلى نفوسهم ، كان من المستحسن حسن اختيار القصص التي تتماشى مع مراحل نمو الطفل سواءً من ناحية الوعاء اللغوي (الأسلوب) أو المغزى ، وننوه هنا إلى أنّ قصص الأطفال عديدة جداً ويعسر حصرها " إذ حظيت باهتمام كبير من المؤلفين فكثرت المجموعات والسلاسل القصصية كثرةً مفرطاً حتى لتتطبق عليها المقولة الشائعة هذا باب أوسع من أن يحاط به" ⁶ ، لكننا سنسلط الأضواء على أهمّها وأكثرها شيوعاً في الساحة الأدبية:

أ. قصص الحيوانات :

إنّ الحيوان من الناحية الشعورية صديق الطفل ومثير قوي له تربطه به علاقة وجدانية حيث توجد أمثلة عديدة تؤكد قرب الحيوان من نفس الطفل الصغير ، فيجد المتعة في تلقي هذا النوع من القصص لامتيازها بالغرابة فتخلق له عالماً جديداً مليئاً بالتشويق والإثارة النفسية والذهنية وحتى اللغوية ، "ففي عام 1964 أجريت العديد من التجارب حول مدى تقبل الطفل للقصص ، فقد كانت قصص الحيوان من أكثر القصص قبولا خاصة لدى الأطفال حتى 10 سنوات ، إذ عملت على شدّ انتباههم وطالبوا بتكرارها لمرات عديدة وفهموها فهماً جيداً وترسخت في أذهانهم بصورة واضحة مقارنة مع القصص الأخرى"⁷ ، وتبقى ميولهم النفسية متعلّقة بأبطال الحيوانات ومرد ذلك البساطة الموجودة في تمص أدوار الحيوانات ، وشعورهم بالسعادة في تكوين صداقات صادقة معها في واقعهم الحياتي خاصة الأليفة منها كالقطط والطيّافير ، ولذلك ألّفت العديد من هذه النوعية القصصية وشاعت في كل بقاع العالم فنجدها في كل بيئة مكانية أو زمنية، وبقيت متداولة بين الأجيال وتعدّدت قصص الحيوانات فمنها المألوفة ومنها الخيالية ومنها الغريبة، وتباينت أدوارهم بين الروحانية والإنسانية أو تجسيد أدوار الشر والقوة ومنها الأدوار الحقيقية التي نلمسها في أرضية الواقع كبناء الطيافير لأعشاشها ، وسلطة الأسد على الغابة ورعاية الحيوانات الثدييات لصغارها ، وتبيان طريقة جمعها لقوتها ، فهذا النوع من القصص يحقق البناء البيداغوجي القائم على الأدب التهذيبي والتعليمي ، كما يعين المتلقي الصغير على التعبير عن أفكاره والإفصاح على مشاعره بصورة حسية قائمة على السهولة وشدة التأثير والإيضاح واستثمار لقدراته العقلية من تركيز وانتباه وإدراك وتحفيز لنموه اللغوي خاصة في مراحل الطفولة الأولى .

ب. القصص الدينية:

تعتبر القصص الإسلامية مادة أدبية ثرية كان لها وجودها في تراثنا الأدبي، إذ تحتل مكانة مرموقة في أدب الطفل الحديث كونها تحقّق الوظائف الخلقية والروحية والتربوية والجمالية واللغوية في حقل أدب الطفل ، لأنها تحرص على تقريب المفاهيم المجردة التي تهتم بها التربية ويحرص عليها الدين الحنيف لتبرزها بصورة مجسّدة حيّة "⁸ ، لأنها وسيلة

بيداغوجية و ديداكتيكية وعامل عقلي تساعد على تقديم مبادئ العقيدة الإسلامية وفضائل الأخلاق القويمة بأسلوب قصصي يتواءم ودرجة مستوى الإدراك الطفل بشكل تدريجي .

ولعلّ أبرز هذه القصص هي قصة الأنبياء التي تعد نموذج حي لأشكال التربية نذكر منها : قصة "الصبر" (قصة سيدنا أيوب) مع الرضاء بقدر الله والصبر على أنواع الابتلاءات⁹ ، وقصة طاعة الله وامثال أمره (قصة أم موسى وأخته) وكيف استجابت لأمر الله عزّ وجل - ووضعت طفلها بالتبوت ثمّ ألقته في اليم¹⁰ ، فهذه النوعية القصصية تؤثر تأثيراً بالغاً على نفس الطفل باعتبارها الوسيلة لمعرفة أحداث السيرة النبوية الشريفة ، ونموذجاً كاملاً متكاملًا في إدراك منهج الإسلام حقّ إدراك وفق أداء في قصصي وطبعات مشوّقة كقصة سيدنا يوسف - عليه السلام- التي تمثل مرآة عاكسة للنهج الإسلامي الصادق ، إذ ربطت هذه الشخصية العظيمة بكل جوانب الحياة الواقعية وتعاملت مع النفس الإنسانية بكل واقعية من خلال نماذج حية متباينة مع تنوع الشخصيات والمواقف ، ونقلت إلى الطفل العربي الصورة الصادقة للأداء القصصي الديني الحافل بالإنسانية ، والانفعال والحركة ، وحسن الأداء لتجسد جوهر الإسلام وضوابطه وعاداته وتقاليده السامية بغية تفعيل التكوين العقلي والروحي للطفل العربي ، كما يعزّز له قدرة حفظ القرآن الكريم وتدبر معانيه والافتداء بالشخصيات الدينية العظيمة ، كما تزوده بالألفاظ والتراكيب التي ترقى حصيلته اللغوية وأحاسيسهم الأدبية وصولاً إلى تذوق أدبيّ.

ج. قصص الخيال العلمي :

يعد الخيال النافذة المطلّة على المستقبل وتشخيص جوانبه وللطفل قدرة هائلة على التخيل ولهذا الأخير دور ريادي في مجال العلم والمعرفة وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، " فهو روح الفنون والعلوم والآداب ، ومحرك الابتكار ، وهو القوة التي رافقت تطور الإنسان دافعةً ومفسّرةً وملهمة وهو الأساس في كلّ نشاطٍ إبداعيٍّ علميٍّ كان أمّ تكنولوجياً أمّ فلسفياً"¹¹ ، فهو يقدّم للأطفال في صبغة جميلة مشوّقة ، ويخرج أدب الطفل من بوتقة التقليد إلى دائرة التحفيز بحثاً عن أشياء كثيرة، وتعزيز دافعية التعلّم ، وحث أفكاره على بناء مستقبل لأنه أداة معاصرة تسعى إلى " خلق الكلمات واستعمال التراكيب اللغوية ، ممّا يساعد على تجديد المفردات اللغوية ، واللغة ذاتها ، مع إعادة الخلق والإبداع مع التجديد"¹² ، فسرد قصص الخيال العلمي على الطفل مفيد جداً لتنمية الملكة اللسانية وإظهار

جماليات البلاغة العربيّة ، وإشباع حاجاته النفسيّة وتحقيق التكامل السيكولوجي ويقدم قدرات فكرية واسعة، فهو جنس أدبي ثري يعشقه الأطفال وبواسطته يفصحون عن طاقاتهم الإيجابية شرط أن تكون قائمة على اتجاهات ومفاهيم علمية مكتسبة، فقيمة الخيال عند الطفل كدور العقل في إدراك الحقائق وتهذيب الأفكار ، "والمؤسف أنّ القصص العلميّة لم تجد طريقها إلى الطفل العربيّ إلا في حدود ضيقة ، وفي دراسة قام بها مركز البحوث في وزارة التربيّة في مصر عن قراءات الأطفال تبين أنّهم لا يقبلون على هذا اللون من القصص¹³ ، وسبب ذلك هو افتقار قصص الخيال العلمي إلى عناصرها الفعلية وحلوها من المعايير التي سبق لنا وأن ذكرناها ، وبعدها الكلي عن التشويق الذي يعد العمود الرئيسي لأي عمل قصصي .

د. القصص الواقعيّة المعبرة عن البيئة المحدودة :

لقد مرّ أدب الأطفال بمراحل مختلفة انعكست على موضوعاته ومضامينه التي تنوعت بين القصص الخرافية والغريبة والخراف، وبعدها تمّ ظهور أدب يستقي مادته من صلب الواقع المعاش ، والوقائع الحاصلة في الحاضر ، وقد بينا لجمالاً أنّ هذا النوع من القصص يلائم الأطفال من السنة الثالثة إلى الخامسة لأنّ الطفل لا يتجاوز إحساسه بالبيئة التي يعيش فيها ويميل إلى الكشف عنها ولا بدّ أن تتميز بعنصر الغرابة التي تثيره و تستميله فهو يتخيّل العصا حصاناً يركبه¹⁴، فهي تساعد الطفل على إعطاء مفاهيم حقيقيّة للحياة، وزرع قيم وأنماط خلقية واجتماعية إيجابية والتكيف والتفاعل الاجتماعي ، وهذا ما أكّده الباحث ناصر أحمد حيث وجد أنّ أهم الأنواع القصصية التي تساهم في ربط الطفل بواقعه وتعريفه عليه وتؤثر على ما اكتسب من القيم السلبية الناجمة عن التنشئة الأسرية والاجتماعية غير الواقعية ، وتعرضه على مشكلات الواقع وتقدم له النماذج الإيجابية التي تُمثّل هذا الواقع ولا تدفعه إلى عوالم خيالية¹⁵ ، زيادةً على ذلك يقدم هذا الجنس القصصي قيمة رفيعة للطفل ويعينه على الإفصاح عن مشاعره ومكبوتاته وإخراج الطاقات السلبية الدفينة ، وتبسيط الأضواء على المشاكل الواقعية وسبل حلّها ، فيزود الأطفال بآليات التفكير المنطقي ووسائل التعبير المناسبة في جو يسوده المتعة والإثارة والتركيز، خاصّةً وإن غلبت عليها اللّغة العربيّة الفصيحة بغية تحقيق القيم الفنيّة في أبعث صورها.

3- أشهر رواد القصّة عند الأطفال في العالم العربيّ :

نشطت حركة التأليف في الوطن العربي وأفرزت ظهور طائفة من الكتاب المهتمين بأدب الطفل ، فحملوا مسؤولية كبيرة على عاتقهم، وهي تقديم أشكال أدبية تسعى إلى تثقيف الطفل باستخدام تقنيات متباينة كالإذاعة وصحافة الأطفال والأناشيد والقصص، وسنسلط الأضواء في هذه الورقة البحثية على أهم القصص في حقل أدب الأطفال منهم شخصيتين بارزتين وهما :

أ- كامل إبراهيم الكيلاني :

هو كاتب وأديب مصري مشهور بأعماله المخصصة لفئة الأطفال حيث أطلق عليه لقب "رائد أدب الطفل" ، وقد كانت له اهتمامات كبيرة في كل ما يتعلق باللغة العربية وأساليبها ، "ففي عام 1927 وجه اهتمامه إلى فن أدب الأطفال ، ودأب على تحقيق الفكرة التي آمن بها ، وهي إنشاء مكتبة للأطفال فأصدر قصته الأولى للأطفال "السندباد البحري" ، ثم أتبعها بفيض من مؤلفاته في نفس المجال " 16 ، حيث كان شديد الحرص على استخدام اللغة الفصيحة المبتكرة لأنها كانت من أهم غايته في مجال الأدب القصصي ، إضافة إلى ذلك تكوين جيل صالح من خلال الاهتمام بالتربية الخلقية وتبسيط الأضواء على محاسن الصفات الإنسانية ، وتهذيب سلوك المتلقي الصغير ، وقد خلف عدة أعمال في حقل أدب الأطفال ونخص بالذكر " القصة " نذكر أبرزها : "مصباح علاء الدين" - "حي بن يقظان" - "نوادير جحا وشهرزاد" و"ألف ليلة" ، والتي ترجمت إلى عدة لغات ، كما يعد أول مخاطب للأطفال عبر الإذاعة وأول مؤسس لمكتبة الأطفال 17 ، فكانت أعماله الأدبية مرجع متشعب الثقافات أبرز من خلالها الذات التاريخية وعلاقتها بالهوية اللغوية فحقق بذلك حصيلة جيدة كانت من الروائع الأدبية الثرية والتي هدف من ورائها تحبيب اللغة العربية للطفل العربي.

ب/أحمد محمود

نجيب :

هو أديب مصري عرف بإنجازاته المهمة المرتبطة بتثقيف الطفل العربي عن طريق البرامج الإذاعية والتلفزيونية وكذا المجالات وسلسلة من الكتب والقصص ، وهو " عضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة ومن أبرز الأعلام في مجال أدب الطفل ، وطبعت محاضراته القيمة في هذا المجال من خلال كتابه الموسوم ب: فن الكتابة للأطفال " الذي يعتبر أول كتاب باللغة العربية " 18 ، وقام بالعديد من الدورات التكوينية للكتاب في حقل أدب الطفولة الذي

تخصّص فيه تخصّصاً عميقاً من شتى جوانبه، ونحن نسلط الضوء على إنجازاته الأدبيّة في ميدان قصص الطفل وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : " مغامرات في أعماق البحار " - "سر البساط الأزرق" - الشجرة المسحورة(قصة من المغرب من النار)- " سفينة نوح " - " الحصان الطيّار في بلاد الأسرار " سرّ العلبة الذهبيّة"- الأميرة والصيدّاء (قصة من آسيا)-"زائر وقمر"-أسرار النّار التي لا تحرق " صبر أيوب " (حكاية من السّماء)- جحا والحصان الغريب"¹⁹.... وغيرها من القصص المهمّة التي تعود بالمنفعة والمتعة التشويق للطفل العربي، فقد سخر هذا الكاتب المتميّز أدبه ووقته وإن صحّ التعبير حياته لإثراء وترقية عالم الطفولة من جانبه الأدبي، لأنّه قدّم قصصاً ثرية لهذه العينة البريئة (الطفل) شملت زوايا حديثة لم تعرض من قبل، فقد ترك بصمةً كبيرةً في تاريخ الأدب العربيّ عامّةً وأدب الطفولة خاصّةً.

4-أهميّة قصص الأطفال وأثرها في تعليميّة اللّغة العربيّة:

إنّ العناية بقصص الأطفال هو مؤشر بارز لرقى الدول ، وجذور لمنابت التفتح الإنساني ، لأنّ مرحلة الطفولة هي مرحلة جوهرية في حياة الإنسان وأكثرها حساسيّةً ، فتنمو من خلالها مداركهم وتكوّن شخصيتهم وتتجاوب قابليتهم مع الحياة ، وبما أنّنا سلّطنا الضوء على القصة المخصّصة لهذه العينة الإنسانيّة الهامّة من المجتمع، يجدر بنا التنويه بأنّ هذه القطعة الثرية المحبّبة لهذه الفئة تحتل المرتبة الأولى من الأدب المقدّم للطفل ، لذا وجب الإشارة إلى الدور الريادي الذي تؤديه قصص الأطفال في حيّز تعليم اللّغة العربيّة:- تتوفر قصص الأطفال على عناصر فعّالة تؤهلها إلى تلبية حاجات الطفولة لأنّها تبعث في نفوسها روح المرح ، وتنمية الخيال ، وتعزيز العواطف وتوسيع التصورات ، فهي واسطة لعرض التجارب الإنسانيّة المتباينة للطفل ونقلها إليه بأمانٍ وصدقٍ بأشكالٍ مختلفةٍ ليكتشف العالم الخارجي ويتفاعل مع مجتمعه، وهذا الأمر سيفيده -دون شك- في حياته المستقبلية .

- تلعب القصة دوراً هاماً جدّاً في حياة أطفالنا ، والحفاظ على هويتنا اللّغوية العربيّة باعتبارها اللّغة الرسميّة ، فهي وسيلة فعّالة لتنمية لغة الطفل سماعاً وتحديثاً وقراءةً وكتابةً، وزيادةً في الثروة اللّغويّة"²⁰، وبفضلها يتم إبراز القيم الفنيّة والأدبيّة التي تسخر بها لغتنا العربيّة الفريدة بنوعها من خلال التحكم السليم والسيطرة القوية لضوابطها ، فضلاً عن ذلك تزوّده بالقيم الأخلاقيّة الفاضلة فيستطيع التمييز بين السجايا الحسنّة المحبّدة للنفس البشريّة ، والصفات

الذميمة ومختلف الرذائل ، وتعوده على احترام العادات والتقاليد العربيّة والتمسك بالتراث العربي الأصيل ، وهذا ما نلمسه في القصص ذات الطابع الاجتماعي .

- تساعد القصة على تنمية الميول القرائيّة للطفل وحب الاطلاع والاكتشاف لاحتوائها على عنصر التشويق والإثارة ، وتقوي مواطن القصور القرائي فتقلّل بذلك عسر القراءة بالأخص القصص المرثية والمسموعة، وتكسبه عادات لغوية سليمة تمنعه من الوقوع المتكرّر في الأخطاء اللغوية.

- يستطيع الطفل العربي بفضل قراءة القصّة أن ينمي ذوقه الأدبيّ من خلال توقيير المعاني الهادفة التي تتضمنها هذه الأخيرة، وتقدير الخيال الخصب، والأساليب الأدبيّة الرّاقية، ويكتشف من خلالها مواهبه ويطوّر من مهارته اللّغوية والت تعتبر المدخل الأساسي لتعليم وتعلّم اللّغة العربيّة .

- من أبرز أهداف قراءة قصص الأطفال هو الهدف العقائدي الروحاني الديني والذي يحمل في ثناياه غايات تعليميّة تربوية، "ولهذا فإنّ المسلمين قد اعتنوا بالقصّة واستخدموها في مجال التربيّة والتعليم ، وهي من العوامل التربويّة العقلية التي تساعد على تقديم العقيدة الإسلاميّة والخلق السليم بأسلوب قصصي بما يتناسب ومستوى الإدراك الطفولي بصورةٍ متدرّجةٍ ناميةٍ خاصّةً قصص الأنبياء التي تشكل نماذج جد رائدة في التربيّة " ²¹، ونخص بالذكر هنا "القصص الدينيّة" التي تمجّد لغة القرآن الكريم (اللّغة العربيّة) وتحبّب الطفل إليها وتربطه بها ربطاً وثيقاً ، وتدعم عقيدته الإسلاميّة ، وتعطيه فكرةً واضحةً صحيحةً عن ديننا الحنيف ومبادئه القويمّة الساميّة . - تعد قصّة الطفل بمثابة رياضة ذهنية لمخيلته، لأنّها تعينه على حل المشكلات التي تصادفه ، وتربطه بالمواقف الحياتية كونها تضعه في وضعية مشكلة ، وتعوده على حسن التعليل والتفكير، وهذا تجسّده بقوّة القصة العلميّة - تعين قصص الأطفال على تلبية الحاجات النفسيّة لهم ، والجدير بالإشارة هو أنّ البعد النفسي له ارتباط وثيق وأثر بالغ على الجانب اللّغوي ، " حيث تتدخل القصّة في هذا المقام بأسلحتها المشوّقة الفعّالة في تشكيل شخصيّة الطفل تشكيلاً صحيحاً " ²²، إذ تعودّه على الجرأة الأدبيّة وتبعث فيه الطلاقة اللّغويّة، وتؤهله إلى قراءة القصص بنفسه خاصّة عند دخوله المدرسة ، وتزيد من ثقته بنفسه وتمنعه من الخجل ، شرط أن تكون هذه القصّة مناسبة لقدراته العقليّة والمعرفيّة واللّغويّة .

-تحقق القصّة للطفل العربي خاصّةً في مرحلة المراهقة نوعاً من التوازن السيكلوجي وتضيء أفق هذه الفترة الحسّاسة من حياته ، من خلال إجابتها على التساؤلات التي تحوم في ذهنه وتخيّره، ويجد بين سطورها وثناياها الأجوبة التي يبحث عنها خاصّةً في القصص التي تحمل نماذج واقعية مشابهاً لما يعيشه .

- إنّ القصّة باعتبارها وسيلة تعليمية وتربويّة هادفة " تمكّن الطفل في كيفية تقديم الأجوبة بلغة مشوّقة وبأسلوب سهل ، وبطريقة مقبولة ومقنعة ، وتكشف له الأسرار والحقائق والقضايا الاجتماعية والأخلاقية يستطيع بواسطتها استجلاء الكثير ما يدور في ذهنه " ²³، لأنّه يكتسب في نهاية كل قصّة مغزى أو عبرة أو فائدة، فتكون بذلك أساس بيداغوجي صلب يُيسّر تعليم اللّغة العربيّة داخل الغرفة الصفيّة أو خارجها .

الخاتمة:

بعد هذه الجولة المتواضعة في مجال أدب الطفل العربي وبالأخص الفن القصصي يمكننا القول أنّ عالم الطفل والقصّة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، فهذه الأخيرة من أبرز الوسائل الحيوية التي تعين الطفل على تنشئة سليمة من شتى نواحيها اجتماعياً وثقافياً ومعرفياً ولغوياً، لما تحمله من قدرات فعّالة في شدّ انتباهه، وإثارة عواطفه وانفعالاته ، وتصحيح أساليبه الكلامية وتوسيع معجمه اللّغوي، فكّلما زاد تعلق الطفل بما كلّما أصبح له رصيذاً لغوياً أكبر وكذا سد ميوله وحاجاته النفسية ، لذا بات من الضروري تقديم قصص لأطفالنا توائم مستواهم العقلي والمعرفي واللّساني ، مع مراعاة سهولة اللّغة ووضوح المعاني لأنّها تنعكس بصورة إيجابية أثناء تواصله مع محيطه الاجتماعي ، خصوصاً إذا كانت تحمل في ثناياها لغةً عربيّةً فصيحاً سليمةً خافيةً من اللّحن ، فستؤدّي -بلا شك- إلى تكوين ثروة لغوية هائلة للطفل الذي تساعده على التمكن من مهارات اللّغة العربيّة الأساسيّة.

الهوامش:

- ¹ إيمان البقاعي، المتقن في أدب الأطفال والشباب لطلبة التربيّة ودور المعلمين ، دار راتب الجامعية، بيروت لبنان ، ص 117.
- ² إبراهيم محمد عبد الرزاق، ويونس محمد هاني وحافظ، حيد السيد، ثقافة الطفل ، دار الفكر، عمّان، ط5، 2012، ص. 217.
- ³ محمد السيد حلاوة، الأدب القصص للطفل، مؤسسة حورس الدوليّة ، الاسكندرية، مصر، د.ط، ص62
- ⁴ حفيظة تازورتي ، اكتساب اللّغة العربيّة عند الطفل الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003، ص18
- ⁵ حسن شحاتة، أدب الطفل العربي دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبناييّة، القاهرة، ط1، 1991، ص29
- ⁶ فوزي عيسى ، أدب الأطفال الشعر مشرح للطفل (القصّة)، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، 2007، ص 284-285
- ⁷ ينظر: هادي نعمان الهيّتي، أدب الأطفال فلسفته، فنونه ، وسائطه، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1977، ص149
- ⁸ عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربيّ المربيّ، دار الثقافة للجميع ، دمشق، ط1، ص246
- ⁹ عبد الحميد الهاشمي ، الرسول العربيّ المربيّ، المرجع السابق، ص247
- ¹⁰ محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1996، ص213

- 11 العمود الجهنمي، مجموعة قصص علمية خيالية، دار مير للطباعة والنشر، موسكو، 1971، ص 05
- 12 إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ط1، 2000، ص 64
- 13 هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، ص 189
- 14 محمد بن إبراهيم الخطيب، طرائق تعليم اللغة العربية، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003، ص 186
- 15 أحمد ناصر سيف، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، 1989، ص 69-70
- 16 نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1990، ص 09
- 17 مؤسسة هنداوي (كتب ومؤلفات الكيلاني)، اطلع عليه بتاريخ 11-04-22 <https://www.hindawi.org/>
- 18 الموسوعة الشعرية، اطلع عليه بتاريخ: 12-04-22 https://areq.net/m/أحمد_محمود_نجيب.html
- هيام حمدى العناني، أحمد محمود نجيب (رائد أدب الأطفال)، مركز توثيق وبحوث أدب الطفل، مجلة أدب الطفل، العدد 17، 2019، ص 203، 204، 205¹⁹
- 20 إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، ص 49
- 21 محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، ص 211-212
- 22 أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991، ص 69
- 23 هبة محمد عبد الحميد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص 162

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم محمد عبد الرزاق، ويونس محمد هاني وحافظ، حيد السيد، ثقافة الطفل، دار الفكر، عمان، ط5، 2012.¹
- 2 أحمد ناصر سيف، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، 1989
- 3 أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991
- 4 إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ط1، 2000
- إيمان البقاعي، المتقن في أدب الأطفال والشباب لطلبة التربية ودور المعلمين، دار راتب الجامعية، بيروت لبنان.⁵
- 6 حسن شحاتة، أدب الطفل العربي دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1991..
- 7 حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003
- 8 عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ط1
- 9 العمود الجهنمي، مجموعة قصص علمية خيالية، دار مير للطباعة والنشر، موسكو، 1971
- 10 فوزي عيسى، أدب الأطفال الشعر مشرح للطفل (القصّة)، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، 2007
- 11 محمد السيد حلاوة، الأدب القصص للطفل، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، مصر، دط
- 12 محمد بن إبراهيم الخطيب، طرائق تعليم اللغة العربية، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003
- 13 محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1996
- 14 نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1990
- 15 هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1977
- 16 هبة محمد عبد الحميد، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006
- 17 هيام حمدى العناني، أحمد محمود نجيب (رائد أدب الأطفال)، مركز توثيق وبحوث أدب الطفل، مجلة أدب الطفل، العدد 17، 2019

المواقع الإلكترونية:

- ¹ الموسوعة الشعرية، اطلع عليه بتاريخ: 12-04-22 https://areq.net/m/أحمد_محمود_نجيب.html
- ² مؤسسة هنداوي (كتب ومؤلفات الكيلاني) اطلع عليه بتاريخ 11-04-22 <https://www.hindawi.org/>